مسألة المنهج عند فلاسفة مدرسة "الوضعية المنطقية"

The issue of the method for the philosophers of the school of 'logical positivism'

علي تتيات[1، *]

[1] جامعة محمد خيضر-بسكرة (الجزائر)، ali.tataiat@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام:03-07-2021 تاريخ القبول: 16-05-2022 تاريخ النشر: 03-06-2022

ملخص: كانت العلمية أول صفات الوضعية، والتي اتسمت بوجوب البحث عن الأسباب الكامنة وراء مختلف الظواهر، وكذا في القوانين الملازمة لها، وباعتبار القانون يمثّل العلاقة الثابتة بين الظواهر المتماثلة والحوادث المتتابعة، والتي يضمن المنهج العلمي ترابطها، فلا يمكن أن نذهب بعيدا في العلاقة بين الوضعية المنطقية وأسسها العلمية، إذ لم تكن هناك فوارق بين العلوم التي تقوم على المشاهدة والتجربة والعلوم التي تستند إلى النظر العقلي والتفكير المجرّد الخالي من معوقات التفكير المنطقي في ميدان البحث.

تهدف هذه الدراسة إلى شرح طرق عمل طرق البحث في الوضعية المنطقية، وتم اتباع المنهج التحليلي لبلوغ الهدف، وقد خلصت إلى أنّ البحث المعتمد على المنهج يوفر أرقى أنواع السبل للباحث لاستكشاف ذلك الرصيد الهائل من المعارف والعلوم، وأنّ البحث العلمي عملية منظمة وموضوعية تستهدف دراسة مشكلة من اجل التوصل إلى مبادئ عامة لإضافة تراكمات جديدة إلى حقل المعرفة المتعلقة بالموضوع.

الكلمات المفتاحية: منهج؛ بحث علمي؛ معرفة؛ مدرسة الوضعية المنطقية؛ فلسفة.

Abstract:

Scientific was the first characteristic of positivism, which was characterized by the necessity of searching for the reasons behind the various phenomena, as well as the laws accompanying them, and considering the law represents the fixed relationship between similar phenomena and successive events, which the scientific method guarantees their interdependence, we cannot go far in the relationship between Logical positivism and its scientific foundations, as there were no differences between the sciences that are based on observation and experiment, and the sciences that are based on rational consideration and abstract thinking free from the obstacles of logical thinking in the field of research.

This study aims to explain the working methods of research methods in logical positivism, and the analytical approach was followed to achieve the goal, and it was concluded that research based on the method provides the finest types of ways for the researcher to explore that huge stock of knowledge and science, and that scientific research is an organized and objective process aimed at studying a problem In order to come up with general principles to add new accumulations to the field of knowledge related to the topic.

Keywords: Method; scientific research; knowledge; logical positivism school; philosophy.

* المؤلف المراسل

1- مقدمة

قامت مشكلة الدراسة في بحثنا الموسوم بمسألة المنهج في فلسفة مدرسة الوضعية المنطقية على محاولة إيجاد مساحات العمل للمنهج العلمي في فلسفة الوضعين المناطقة عبر الخوض في رؤاهم الفلسفية، و تمثلات المنطق وعلاقته بالمنهج المستعمل لتحصيل المعرفة الحقة. مع الأخذ بنظر الاعتبار المنهج التجريبي الذي قامت عليه هذه الفلسفة خاصة فلسفة هيوم(David Hume 1711-1776) التجريبية، وقد جرى البحث في محاولة إثبات أنّ الفكر بدلا من أن يتخذ موضوعه من العالم أو من الأشياء الموجودة في العالم، يتجه إلى ذاته ويجعل من فكره ذاتاً وموضوعا في الوقت ذاته، وبهذا المعنى يكون علم المنطق ليس بحثا عن الحقيقة بل هو بحث فيها أو في بنائها عبر دائرة الواقعية العلمية القائمة على التحليل العلمي، وغاية التحليل العلمي انه قائم على منهج علمي استعمله هؤلاء الفلاسفة في تصنيفاتهم للحقيقة، وتجلى هذا عند برتراند راسل (Bertrand Russell 1872-1970) في دعوته إلى عودة إرساء اعتقاداتنا على الملاحظات والاستدلالات المتجردة من التحيز والمزاج، وذهب إلى أن الرياضيات هي مصدر العلوم والإبداع فيها عبر نبذه للبديهيات، ونرى أن جورج مور George Edward) Moore,1873-1953) تبنى فكرة أن المنهج يتبع من قبل الفلاسفة لغرض الكشف عن حقيقة كثير من المشكلات الفلسفية، فكان التحليل المنطقي هو أبرز أدوات المنهج العلمي في فلسفة الوضعيين المناطقة.

وتضمن بحثنا فرعين، تطرق الأول إلى الوضعية المنطقية وأسسها العلمية وتم تسليط الضوء فيه على علاقة المنهج العلمي بالمنطق بغية الخروج بسبل التفكير السليم عبر البحث في المبادئ الأساسية للاتجاهات التصورية الاسمية الحديثة التي شهدتها تطورات العلوم وفي الصلة الوثيقة التي قامت بينها وبين الرياضيات. كما تمت دراسة الفكرتين الرئيستين في فكرة الوضعية المنطقية وهما الواقع والنافع وأثرهما في تحديد مسارات المنهج في تحصيل العلم. بينما تطرق الفرع الثاني إلى تداعيات المنهج العلمي عند أبرز فلاسفة الوضعية المنطقية، والوقوف على أبرز آرائهم في منطقة عمل البحث، فتعرفنا على ما جاء به برتراند راسل، و جورج مور ، و ردولف كارناب(Rudolf Carnap 1891-1970)، وألفرد آير(Alfred Jules Ayer1910-1989). وزكي نجيب محمود كما وذهبنا إلى إظهار أهمية التحليل المنطقي كأبرز أدوات المنهج العلمي في فلسفة الوضعين المناطقة عبر إظهار العلاقة الترابطية بين المنطق والرياضيات لأن المنطق كما عبر عنه كارناب أساسا للرياضيات، ومن ثم فقد أسهم التحليل المنطقي في ازالة الغموض عن قضايا الوضعيين، وأسهم في إنتاج فلسفة متطورة تدخل في جانب اللغة وتفاصيلها.

2- الوضعية المنطقية وأسسها العلمية

تخضع أهداف البحث العلمي بشكل عام إلى واحد من ثلاثة عوامل: الفهم، التنبؤ، والضبط والتحكم، حيث يقوم الهدف من البحث على فهم الظواهر المختلفة، من خلال إيجاد العلاقات والقوانين التي تحكم هذه الظواهر، والتنبؤ بالظواهر والأحداث المستقبلية من خلال التفكير والبصيرة والملاحظة، وإيجاد الطرق المناسبة لضبطها والتحكم بها، وذلك بالانطلاق من حيث انتهى إليه السابقون (تفسيرا أو ترجمة أو زيادة أو تجديدا) للإسهام في زيادة المعرفة الإنسانية، تقدما وفائدة لمصلحة البشرية جمعاء (عسكر و آخرون، 1998، صفحة 34).

تبدو المعرفة والسعي لتحصيلها، باستعمال المهارة المنطقية – المدربة على استعمال المنطق –بطرقه المنهجية، محدودة بطبيعة ومدى قدرة المعرفة الإنسانية في موضوع معطى، وتبدأ حدود هذه القدرة من الحس العام، عبر

التجريد نحو تشكيل المفاهيم، بالاستقراء من اجل تشكيل الأحكام، حول أي حقيقة معطاة، لإبراز هذه الحقيقة للإدراك بشكل دقيق واضح ومتميز، نعني الظاهرة فنستخدمها بالسياق الذي تخدم فيه الحقيقة الإنسانية، وبذلك يمكن الادعاء بأننا نعرف هذه الحقيقة، ونستطيع أن نتحكم بظواهرها (نصري، 2004، صفحة 17).

لا يمكن للعلم أن يتقدم إلاّ عن طريق البحث، وتقدم البحث العلمي يعتمد على المنهج، ملازما له وغير مفارقه، وجودا وعدما، صدقا وزيفا، فالبحث المعتمد على المنهج، إنما يوفر أرقى أنواع السبل المتاحة للباحث لمعرفة ذلك الرصيد الهائل من المعارف والعلوم، والتي كان للعقل الدور الأول في اكتشافها وتحديد مساراتها، باتجاه تحديد وتشخيص وتصنيف العلوم، وعلى الرغم من اختلاف العلوم وأنواعها ومجالاتها، إلا أنّ المتخصصين في مجال مناهج البحث العلمي، اتفقوا على أنّ لا غنى ولا استبدال عن المنهج والبحث العلمي، وعلى الرغم من احتدام الصراع بين المناهج في معركة الوصول إلى الحقيقة، إلاّ أنّ هذا لم يحدث خللا في المعرفة، بل زادها قوة ومتانة، وأصبح المنهج باستخدامه آليات البحث، أكثر إصراراً وقدرة على مواصلة الاكتشافات واستنهاض العلوم بما يتواكب مع تطورات العصر.

ويعد البحث وسيلة منهجية للاكتشاف والتفسير العلمي والمنطقي للظواهر، والاتجاهات، والمشاكل، وينطلق من فرضيات أو تخمينات يمكن التحقق منها بأتباع سبل تحقق أهدافها، ويمكن قياسها بقوانين طبيعية أو اجتماعية، يحتكم الناس إليها، ويستهدف الوصول إلى نتائج تحقق رغبات الباحث، سواء كان هذا البحث نظريا تفسيريا تحليليا نقديا أو انه تطبيقي يلتجئ إلى الميدان أو المعامل والمختبرات، ومن مهمة الباحث أن يحدد أهدافه، ومنهجه بوضوح لكي يصل إليها بأقصر الطرق وأفضلها (عقيل، 1999، صفحة 25).

البحث العلمي هو محاولة منظمة وموضوعية تستهدف دراسة مشكلة محددة من اجل التوصل إلى مبادئ عامة، ويسترشد الاستقصاء ببيانات علمية جمعت من قبل، ويرمي إلى إضافة جديدة إلى هيكل المعرفة القائم حول الموضوع، كما أن معرفة الإنسان تنمو وتتراكم عن طريق دراسة ما هو معروف بالفعل، كما تعتمد على مراجعة المعارف السابقة في ضوء الاكتشافات الجديدة، ولذلك يمكن النظر إلى كل محاولة لدراسة مشكلة ما بطريقة منظمة، وإلى كل إضافة جديدة إلى معرفة الإنسان بمشكلة معينة بوصفها بحثا. فوجب علينا أن نعد البحث العلمي في أي علم من العلوم، عملية مستمرة وتيارا متدفقا من العمل العلمي المنظم، ويستند إلى قواعد علمية تتسم بالدقة والمرونة والموضوعية، كما انه نشاط فكري منظم وموثق ومصاغ في مجموعة من الخطوات التي يتبعها الباحث العلمي باستخدام المنهج العلمي للوصول إلى معرفة جديدة أو مضافة أو وضع تصورات لحل المشكلات البحثية والمجتمعية، وهذا ما جعل منهج البحث التاريخي، من مناهج البحث العلمي، ولم يستطع أحد البتة فصل منهج البحث التاريخي، عن البحث العلمي، فتتضح لنا صورة لقاء المنهج بالرؤية، فالبحث التاريخي يمثل في احد واجهاته، محاولة الإجابة عن تساؤلات، هي صناعة التراكمات التاريخية للظواهر المختلفة، والبحث عن إيجاد قوانين بغض النظر عن أنواعها، تجعل من قراءة التاريخ متاحة ومنطقية، فكان المنهج التاريخي بأمس الحاجة، للبحث العلمي، وتعريف البحث العلمي على انه محاولة منظمة للوصول إلى إجابات أو حلول للأسئلة أو المشكلات التي تواجه الأفراد أو الجماعات في مواقعهم ومناحي حياتهم، إنما خير دليل للتعبير عن اقترابهما (الجبوري، 2013، صفحة 39). وفي هذا الإطار، تجدر الإشارة إلى أنّه يمكن اعتبار الفلسفة نظامًا مستقلاً بمفاهيمها الخاصة وتنشر أساليبها الخاصة، ولا تؤكد وجهة النظر التقليدية هذه استقلالية الفلسفة في مواجهة

الخطاب والممارسات العلمية فحسب، بل إنها تصور أيضًا أسس العلم بطريقة لا يمكن أن تأتي من داخل العلم نفسه(Leroux, 2010, pp. 1–2) .

وقامت الوضعية المنطقية على تجريبية هيوم(David Hume1711-1776) و وضعية كونت (Auguste Comte1798-1857) وفلسفة العلم عند ارنست ماخ (Ernst Mach, 1837– 1916)، بالإضافة إلى مؤثرات أخرى جاءت من بعض الهندسة اللا اقليدية، وعلى علمية انشتتن، وهذا يؤشر لدينا وجود الاتجاه العلمي لدى أصحاب الوضعية المنطقية، مما يدعونا إلى البحث عن الأسس العلمية لهم من خلال السعي وراء البحث المنطقي باستعمال المنطق وأدواته التي تسعى للوصول إلى الحقيقة (رشوان و محمد مدين، 2012، صفحة 217).

لقد جرت عادة المناطقة على ان يعرفوا المنطق بأنه البحث فيما ينبغي أن يكون عليه التفكير السليم، وأهم ما يميز هذا البحث ان الفكر بدلا من ان يتخذ موضوعه من العالم أو من الأشياء الموجودة في العالم، يتجه إلى ذاته، ويجعل من فكره ذاتا وموضوعا في الآن نفسه، لا بأي معنى ميتافيزيقي، أو استنباطي، أو سيكولوجي، ولا من اجل دراسة العمليات الشعورية المختلفة للتفكير، بل من أجل دراسة الروابط والعلاقات المختلفة بين أجزاء الفكر، وطرق استنباط حقيقة من أخرى، معبرا عن هذا كله في اللغة أو الرموز. وبهذا المعنى، فأن علم المنطق ليس بحثا عن الحقيقة بل هو بحث فيها أو في بنائها، بيد أن البحث في الحقيقة بهذا المعنى ينقسم إلى قسمين بحث في الحقيقة يهدف إلى معرفة مطابقتها أو عدم مطابقتها للواقع، وبحث في الحقيقة يهدف إلى مدى توافق الفكر مع نفسه فحسب، دون الاهتمام أساسا بالبحث حول تطابقه مع الواقع، وهذا القسم الأخير وحده هو الذي يتناوله كل من علم المنطق والرياضيات، أي أنّ علم المنطق هو العلم الذي يبحث في بناء الحقيقة، أو في الفكر من حيث توافقه مع نفسه، وانسجامه الذاتي، واتساقه الداخلي. ولما كان تعريف علم المنطق على هذا النحو أنه الأساس في كل الاتجاهات الصورية الاسمية الحديثة التي شهدها تطور هذا العلم، وفي الصلة الوثيقة التي قامت بينها وبين الرياضيات، على نحو ما نجد ذلك الذرية المنطقية والوضعية المنطقية (هويدي، 1972، الصفحات 2–17). وليس بوسعنا أن نذهب بعيدا في العلاقة بين الوضعية المنطقية وأسسها العلمية، فالتفرقة بين المعنى الذي يحمله لفظا علم و فلسفة حديثة العهد، إذ لم تكن هناك فوارق بين العلوم التي تقوم على المشاهدة والتجربة والعلوم التي تستند إلى النظر العقلي والتفكير المجرد، ويكاد الباحث لا يخطئ إذا قرر أن دلالة اللفظين قد توحدت حتى القرن السابع عشر، حين وضع فرانسيس بيكون(Francis Bacon 1626) أساس المنهج التجريبي الحديث فمهّد لاستقلال العلم عن الفلسفة، وفصل ديكارت (René Descartes 1650) بين الفكر والوجود، فنجم عن هذا أن تميز العلم الطبيعي عن الفلسفة، إذا أصبح موضوع العلم الامتداد والحركة، ولاح المنهج التجريبي الذي وضعت أسسه في ذلك العصر، فأصطنعه العلم واستقل به عن الفلسفة موضوعا ومنهجا، فكانت محاولات أو جست كونت جاهدة ومثابرة، والمنهج الوضعي الذي أكد من خلاله، إمكانية أن يكون هذا المنهج مناسبا للعلوم الطبيعية وبنفس القدر هو للإنسانية، لكن ما ينبغي الإشارة إليه أن كونت قد تعرض إلى نقود كثيرة جدا لإتباعه هذا المنهج ولإصراره حول عدم إمكانية وجود بديل عنه، أي أنّ دوغمائية كونت في هذا الاتجاه، أدت إلى التأسيس لمرحلة الوضعية المنطقية، ومن ثم فقد أخذت على عاتقها إيجاد البدائل العلمية لوضعية كونت العلمية (الطويل، ب ت، صفحة 71).

كما يرى الوضعيون أن العلم يستوعب جميع الموضوعات، ويتناول كل المسائل ولا يدع للفلسفة مجالا للبحث، ويحرمون على العقل أن يعرض لغير الموضوعات التي يمكن أن تعالج بمناهج البحث التجريبي (الطويل، ب ت، صفحة 104).

تجدر الاشارة أنّ انتشار النزعات التحليلية في مضمار التفكير الرياضي والمنطقي كحركة وضعية محدثة كانت بمثابة امتداد لتجريبية هيوم، و جون ستيوارت مل(John Stuart Mill 1806-1873) ، و ماخ، كما كانت في الوقت نفسه صدى للاهتمام بالمنهج العلمي على نحو ما عبر عنه كل من هنري بوانكاريه Henri (Poincaré 1854-1912)، وبيير دوهيم (Duhem. Pierre1861-1916)، وألبرت اينشتاين (Albert Einstein 1879-1955)، بل ونتيجة لازدهار المنطق الرمزي على يد كل من بيانو، وفريغه، و راسل، ووايتهد، وهذه الحركة الوضعية المحدثة التي اصطلح على تسميتها باسم الوضعية المنطقية أو التجريبية المنطقية، قد ظهرت أول ما ظهرت على يد الفيلسوف النمساوي موريس شليك (Moritz Schlick 1882-1936) الذي تزعم حلقة فينا داعيا إلى فلسفة علمية تكون مهمتها توحيد العلوم الخاصة بمنهج موحد وتخليص الفلسفة نهائيا من كل أسباب اللبس والغموض عن طريق اصطناع منهج التحليل المنطقي وقد اجتمعت كلمة فلاسفة الوضعية المنطقية في الكتاب الذي أصدروه عام 1929، تحت عنوان <u>حلقة فيينا تصورها العلمي للعالم</u>، على أن المهمة الوحيدة للفلسفة هي العمل على ربط اللغة بالتجربة ربطا علميا، وصياغة الواقع الخارجي صياغة منطقية، ولا سبيل إلى تحقيق هذه الغاية إلا عن طريق التسلح بأسلحة التحليل المنطقي من اجل صبغ التفكير الفلسفي بخصائص المعرفة العلمية، ألا وهي: الوضوح والاتساق الباطني، والقابلية للفحص، والتكافؤ والدقة والموضوعية، ولما كانت لغة الحياة العادية مليئة بالغموض والالتباس، في حين أن المثل الأعلى للعلم هو الدقة والوضوح، فأن على الفلسفة أن تحاول التمييز بين الغامض والواضح، وان تقوم بتحليل العلاقات الخارجية القائمة بين المعاني، حتى تتوصل عن هذا الطريق إلى القضاء نهائيا على المشكلات الزائفة، والمفاهيم الخاوية، والقضايا الكاذبة، ومعنى هذا أن ثمة جانبين هامين في عملية تطبيق التحليل المنطقي، جانبا سلبيا يتمثل في استبعاد الأحكام الميتافيزيقية من كافة العلوم الطبيعية، والرياضية، والإنسانية، أن لم نقل من المعرفة البشرية بصفة عامة، وجانبا ايجابيا يتمثل في توضيح مفاهيم العلوم ومناهجها، والكشف عن عملية تكوين المعرفة البشرية بأسرها ابتداءً من معطيات التجربة (إبراهيم، 1977، الصفحات 267–268).

تجلت بالفعل الروح الوضعية بمعنى الكلمة، فقد بات المطلوب تخليص الفلسفة من شائبة جميع عناصرها التي لا تقع تحت التجربة، كما يقول جورج هنري ليويس (George Henery Lewes 1817–1878) ، لا على نحو ما كانت عليه الحال في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، على أساس تقديم المصلحة الاجتماعية والعملية، بل فقط وصولا إلى مثال معرفة صحيحة علميا (برهييه، 1987، صفحة 29).

هناك عنصرين جوهريين في الفكرة الوضعية هما الواقع والنافع، الواقع هو الذي يوجد في العلم، وفي العلم وحده، أما اللاهوت والميتافيزيقا اللذان يزعمان أيضا تعريفا بطبيعة الأشياء، فهما نظامان وهميان، وبذلك يصبح العلم أساس الوضعية التي تطالب بمواجهة كل ما يعطى لنا بحيث نتمكن من إدخاله في نطاق العلم الصحيح، ليتيسر لنا تنظيم كل ما يقع في متناول أيدينا والانتفاع به (بوترو، 1973، صفحة 41).

إنّ العلمية هي أساس الوضعية، وأنها تعتمد الواقعية التجريبية التي يعتنقها معظم التجريبيين المنطقيين تزيل انعدام المعنى، والعناصر السخيفة، من الفلسفات المتصارعة، بغية الوصول إلى إعادة بناء الإدراك الفطري العام والمعقولية عن طريق توضيح معاني الواقع، فكلمة واقعة كثيرا ما تستعمل في الحياة اليومية وفي العلم بمعنى واضح ولمبرر معقول، لتعني الشيء الذي له مكان وزمان والذي يكون حلقة في سلاسل العلاقات العلمية، وهكذا يكون على نقيض الوهمي والخيال والفكري البحت. والواقعية العلمية – بهذا المعنى– تحتمل الاختبار التجريبي، مثال ذلك واقعية الصخور والأشجار والنجوم والذرات الإشعاعات والقوى والعقول البشرية والطوائف الاجتماعية والأحداث التاريخية والإجراءات الاقتصادية، فكانت الوضعية المنطقية محاولة أكثر فنية لإعادة بناء معلوماتنا، التجريبي على أساس منطقي، فكان علينا اختيار الأساس والصور المنطقية التي نتبعها في هذا البناء (واجويرت، 1963، صفحة 167).

إنّ ما سعى إليه المناطقة هو عدم فك الارتباط بين حقيقة الفكر المنطقي والتجربة ومعقولاتها، وقد اخذ هذا الموضوع جانبا تأمليا في مبنيات الفكر الموضوعي وتطوراته، والتأكيد على الجانب المنطقي في مراحل الفلسفة الموضوعية إنما يشير إلى ترابط مراحلها منذ لحظة التأسيس والبناء الكونتي، فلم يذهب أي من المناطقة الوضعيين إلى إنكار العلمية التي قامت عليها فلسفتهم، إلا أن هناك تطورا ما قد حصل لهذه الفلسفة، من خلال إيجاد مناطق عمل جديدة تفسح المجال لاستغلال وظائف العقل الأخرى، التي أصر كونت على الاعتماد على وظيفة التفكير كمصدر رئيسي للمعرفة منها، وهذا ما أثار النقاد، وسنح الفرصة لنشوء الوضعيين المناطقة الجدد، واللذين لم يخرجوا عن الأساس العلمي في بنائهم الجديد (غادامير، 2002، صفحة 149).

ورأى غادامير (Hans-Georg Gadamer1900-2002) أن الفلسفة الوضعية، قد تشكلت على أساس الصرامة التي دعا لها أوغست كونت، ولا يذهب غادامير بعيدا عن اعتبار المقصود بالصرامة، هو استخدام العلمية التجريبية (غادامير، فلسفة التأويل، 2006، صفحة 19).

حاول الوضعيون المنطقيون الخروج من دائرة الصرامة هذه إلى دائرة الواقعية العلمية القائمة على التحليل العلمي، لكن هذه المرة بعيدا عن تجريبية كونت، واستعمال المعاني والألفاظ والعبارات وتحليلها تحليلا علميا، فقد استعمل راسل وهو احد مؤسسي هذا المذهب، اسم الواقعية التحليلية العلمية، ويعتقد أن وجود الأشياء ليس رهنا بمعرفتها أي أن وجود الشيء مستقل عن معرفتي له ويتعدى أو يفوق هذه المعرفة، وهذه الواقعية عند راسل تتصف بأنها تحليلية علمية. والفلسفة عند راسل عبارة عن تحليل للألفاظ والقضايا التي يستعملها العلماء والتي يقولها الناس في حياتهم اليومية، فليس من شأن الفيلسوف أن يقول للناس خبرا جديداً عن العالم، وليس من مهمته أن يحكم على الأشياء، بل أن مهمته محصورة في تحليل وتوضيح المعاني والألفاظ والعبارة تحليلا علميا، وتوضيحا منطقيا، ومعنى ذلك أن الوجود الحقيقي عند أصحاب الوضعية المنطقية ليس هو الوجود الشيء أو وجود الموضوعات الشيئية بل وجود المعاني والماهيات الرياضية أو المنطقية التي يقوم الفيلسوف بتحليلها، تحليلا علميا، وبذلك لم يخرج الوضعي المنطقي من أساسيات اعتبار العلم أو ل مرتكز من مرتكزاته التي قامت عليها (هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، 1989، صفحة 252).

للوضعية المنطقية موقفان، موقف سلبي عدائي انتقادي ساخر تقريبا بإزاء تاريخ الفلسفة الأسبق، ويعبر عنه نفسه بالعداء للموضوعين التقليديين، وموقف ايجابي محبذ مستحسن إزاء المنطق و العلوم، و الموقفان معا قادا إلى

الرأي بان الفلسفة ليست سوى منطق العلم، ترافق الهجوم على الميتافيزيقا و الأخلاق من الاستخدام القوي جدا لما يسمى) المعيار التجريبي للمعنى، ومن رفض الاعتراف بوجود معنى لأي شيء سوى الأقوال التجريبية والرياضية، كان الرأي بان الفلسفة منطق العلم ذا علاقة بالاعتقاد بان المنطق و من ضمنه الرياضيات هو النشاط العلمي الوحيد الجدير بالاحترام، إلى جانب العلم التجريبي و الاعتقاد بان الفلسفة يجب أن تجتمع حول تراث مبادئ الرياضيات، كان على الفلسفة أن تصنع للمفاهيم الأخرى و فروع المعرفة الأخرى مثل الذي صنعه هذا المذهب للمنطق والرياضيات، كان كار ناب زعيما موهوبا و درس الفيزياء وهو درس منطقي مكتمل اعتبره من دروس الوضعية المنطقية (مورتون، 1957، صفحة 255).

إن العلمية هي أول صفات الوضعية، التي تتميز بضرورة البحث عن الأسباب الخفية الكامنة وراء الظواهر، والبحث في القوانين الملازمة للظواهر، وان القانون هو العلاقة الثابتة والضرورية بين الظواهر المتشابهة والحوادث المتتابعة، ومن ثم فأن السؤال الأساسي هو سؤال كيف تحدث الظواهر وليس لماذا تحدث الظواهر؟ وللإجابة عن هذا السؤال وجب أتباع المنهج العلمي (التجريبي) الذي يتكون من الملاحظة والفرضية والتجربة، وان الأسس العلمية للوضعيين تظهر في تصنيفهم للعلوم إلى الرياضيات والفلك والفيزياء والبيولوجيا وعلم الاجتماع (الزواوي، 2005، صفحة 86)

الاصرار على أن الرياضيات هي ما تتصف به العلوم من الموضوعية الصارمة، فهنا تكمن الحقيقة الخالدة والمعرفة المطلقة، إن نظريات الرياضيات الثابتة المسلم بها هي مثل أفلاطون ونظام سبينوزا الخالد، وجوهر العالم، ينبغي ان يكون هدف الفلسفة بلوغ ما في الرياضيات من كمال، بأن تقيد نفسها بأقوال لها من الصحة والضبط ما للرياضيات، ولها من الحق الثابت قبل كل أنواع التجربة (ديوارنت، ب ت، صفحة 357).

هذه الواقعية فرضت على الفلسفة الوضعية المنطقية الخوض في غمار العلم وفلسفته، ويقول السيد نفادي عن الوضعية المنطقية أنه قد ساد خلال الربع الثاني من القرن السابق بناء فلسفي رئيسي في فلسفة العلم، أطلق عليه اسم التجريبية المنطقية أو حركة الوضعية المنطقية، والتي ثبتت وجهات نظر تميزت بالاعتماد الكبير على تقنيات المنطق الرياضي، في صياغة أطروحاتها و التعامل مع مشكلاتها فأعلنت إن فلسفة العلم خاصةً والفلسفة بصورة عامة، ليست سوى منطق للعلم وعدت المهمة الوحيدة التي ينبغي إن تضطلع بها الفلسفة هي التحليل المنطقي، وان هذا التحليل اعتمد بشكل أساس العلمية، والتي لم يخرجوا في هذا النسق عن سابقيهم في الاتجاه الوضعي (نفادي، 1996، صفحة 19).

3- تداعيات المنهج العلمي عند أبرز فلاسفة الوضعية المنطقية

فكرة المنهج "METHOD" بالمعنى الاصطلاحي المتعارف عليه اليوم ابتداءً من القرن السابع عشر على يد فرانسيس بيكون(FRANCIS BACON) وغيره من العلماء الذين اهتموا بالمنهج التجريبي والمنهج الاستدلالي، وأصبح معنى اصطلاح المنهج، الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في يصل إلى نتيجة معلومة، وان العلم الذي يبحث في الطرائق التي يستعملها الباحثون لدراسة المشكلة والوصول إلى الحقيقة هو "علم المناهج" ومن المناهج الرئيسة التي تستخدم في العلوم الاجتماعية والإنسانية والطبيعية هو المنهج الوثائقي أو

التاريخي أو الاستردادي والمنهج التجريبي ومنهج المسح ومنهج دراسة الحالة والمنهج الإحصائي (سماري، 1999).

وبهذا الخصوص يتبادر إلى الذهن التساؤل التالي: هل يستطيع علماء المنطق وضع مناهج بحث العلوم؟ أم أن هذه المناهج يضعها علماء العلوم المختلفة كل في نطاقه الخاص؟ وبعد جدل طويل، ابتعد كثير من المناطقة عن فكرة وضع مناهج بحث للعلوم المختلفة، واكتفوا فقط بدراسة المناهج التي يقترحها العلماء المختصون، وبذلك أصبحت مهمة المنطق اكتشاف الخطأ في الحجج المعقدة، وليس هذا بكاف بل لا بد من تعيين حدود هذه العلوم وعلاقتها مع غيرها بفضل كون جميع العلوم لها جانب تطبيقي يتصل بميدان اختصاصها. ومع هذا وجدنا التجربة أو الاستقراء ينظران إلى الأشياء في حقيقتها الجزئية وتغيراتها المختلفة وخصائصها غير الثابتة، من اجل متابعة تطوراتها، ولو عدنا إلى تتبع رأي المفكرين القدماء حول موضوع منهج البحث، لوجدنا إشارات واضحة لطرائق منهجية غير منفصلة في بعض الأحيان عن المنطق أو بعض مباحثه، وتجلى هذا عند أرسطو الذي يعد واضع قواعد المنهج القياسي أو الاستدلال وفطن لأهمية الاستقراء ودعا إلى الاستعانة بالملاحظة مع أن الطابع الغالب عليه كان الطابع التأملي (نفادي، 1996).

إنّ المنهج فرع من فروع العلم الأرسطي، الذي شهد انتقادات عديدة هي بالتالي تؤدي باتجاه التطور العلمي والفكري، وكانت حصيلة ذلك اعتماد بعض العلماء والفلاسفة أسلوبا أو طريقة مثلى في البحث العلمي عن الحقيقة أو بالحري القول ما يقارب الحقيقة النسبية، وقد عرف هذا الأسلوب أو الطريقة اصطلاحا بالمنهج (الشماع، 1977).

لا بد من القول إنّ المنهج العلمي الذي هو على وجه الدقة منهج الحدوس الافتراضية الجريئة، المحاولة والاختبارات العلمية الحاذقة البارعة لتكذيبها، انه الصورة المعاصرة لأسلوب التعلم الداخل في صميم الحياة على كوكب الأرض على أسلوب المحاولة والخطأ، وخلاصة المنهج أن يتعلم الباحث أن يفهم المشكلة فيحاول حلها ويفشل في هذا الحل فيتبعه بحل أخر أقوى ويفشل فيه هو الآخر، فالعالم يسير من حلول سيئة إلى حلول أفضل عارفاً في كل حال أن لديه القدرة على طرح تخمينات جديدة، فطريق التقدم العلمي الوحيد هو طرح فروضا أفضل (طباجة، 2007).

المنهج هو مجموعة من العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها علم من العلوم بلوغ الحقائق المتوخاة مع إمكانية تبيانها والتأكيد من صحتها، كما أن المنهج هو الأسلوب المنطقي الملازم لكل عملية تحليل ترتدي الطابع العلمي، وهو بهذا عملية ذهنية لابد وان تكون منطقية، وان تتمتع باستقلالية تجاه الموضوعات التي تبحثها، لان الافتراضات الفلسفية التي ينطلق منها الباحث ويستخدمها في بحثه، كعناصر أصلية، لا تكمن بالمنهج نفسه، وان الخطأ ينبع من الخلط بين عناصر المنهج الأصلية والتصورات والأحكام المسبقة، ذات الطابع الفلسفي، التي ينطلق منها الباحث. ومن هنا فإن الخطأ من الممكن أن يصدر من الفرد الذي يستعملها هذا المنهج أو ذاك، فالمنهج خلاصة التجارب البشرية التي تمت في الواقع، ولذا فأن تركيبه الأساسي ذو طبيعة بشرية، ومن ثم فأن صحة النتائج التي يتوصل إليها هي نسبية دوما (الطويل، ب ت).

لكي لا نذهب بعيدا عن المنهج، فالعلم الباحث في المنهج أو المناهج التأملية يسمى علم المناهج، ونحن أمام نوعين من المنهج : منهجا تلقائيا، وأخر تأمليا، وان هذا الأخير هو الذي يمكن أن يكون موضوعا لعلم، هو هنا

المنطق، لأنه يقوم على التأمل والشعور، لا على التلقائية واللاشعور غير الواضح. ولهذا فأننا نستعمل المنهج كموضوع لجزء من المنطق، بهذا المعنى الأخير، وهو فعلا المعنى الشائع المفهوم عادة، حين التحدث عن البحث المنهجي، أو السير على منهج. وإذا كان المنهج، هو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة أو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، فان من الممكن أن نفهم هذا اللفظ بمعنى عام، فتدخل تحته كل طريقة تؤدي إلى غرض معلوم نريد تحصيله، فثمة على هذا الاعتبار منهج للتعلم، ومنهج للقراءة، وثمة أيضا منهج للوصول إلى نتائج مادية، كما هو الحال في العلوم العملية، ففي الطب مثلا يوجد منهجان: المنهج الوقائي من الجراثيم، والمنهج العلاجي من الجراثيم، وللتربية منهج، وللدراسات على اختلافها مناهج. ولكن المنهج كما نريده هنا لا يطلق بهذا المعنى العام، بل يجب قصره على الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم النظرية. وتبعا لاختلاف هذه العلوم، تختلف المناهج، ولكنها يمكن أن ترد إلى منهجين هما الاستدلال والتجريب، يضاف إليها منهج ثالث خاص بالعلوم الأخلاقية أو التاريخية هو منهج الاسترداد، والعلم الباحث في هذه المناهج الثلاثة خصوصا يسمى علم المناهج، فهو العلم الباحث في الطرق المستخدمة في العلوم للوصول إلى الحقيقة، وكلمة(Méthodologie) ترجع خصوصا إلى كانط (Kant Emmanuel 1724–1804) (عسكر و آخرون، 1998)، فقد قسم المنطق إلى قسمين: مذهب المبادئ، وموضوعه شروط المعرفة الصحيحة، وعلم المناهج الذي يحدد الشكل العام لكل علم، والطريقة التي بها تكون أي علم كان، والى جانب علم المناهج العام هذا، توجد علوم مناهج جزئية تختلف تبعا للعلوم، ومهمة كل منها أن يحدد العمليات الواجب إتباعها في دراسته (لعظم، 1979).

وتأتي أهمية المنطق الرياضي في تطبيقاته في مجالات متعددة، ويكون الدافع إلى ذلك التطلع إلى مضامين فلسفية جديدة لأنواع الحساب المنطقي الكثيرة من حيث ان هذه الأنواع ربما كان لها أثرها في فكرة الحقيقة وفي تكييف وتقويم جديدين لها في الفكر الفلسفي، وهذا ما تؤكده بعض الأوساط الفلسفية التي تنتصر للمنطق الرياضي الحديث وتجعل منه الفلسفة برمتها ابتداء من راسل و فتغنشتاين (Ludwig Josef Johann Wittgenstein 1889-1951) إلى المدرسة المعروفة بالوضعية المنطقية من خلال ابرز فلاسفتها، كارناب (Carnap. R.) ورايشنباخ(Hans Reichenbach 1891-1953) و شليك و هانز هان (Hans Hahn 1879-1934)، فهؤلاء لا يرون فارقا جوهريا بين منطقهم الرياضي الجديد، وموضوع الفلسفة من وجهة نظرهم، فهم على أساسه يقيمون فلسفة علمية وفهم علمي للحقيقة (عقيل، 1999).

لكن راسل يقرر ان المنطق الرياضي، من جانبه الصوري البحت، لم يعد من اهتمامات الفلاسفة من حيث هم فلاسفة، وإنما أصبح يعالجه الرياضيون، وان كان بالطبع يمثل رياضيات من نوع خاص جدا، والأمر الذي يهم الفلاسفة هو المشكلات التي تنشأ من المسلمات العامة المتعلقة بالمزية، تلك المسلمات التي يأخذ بها المرء قبل الشروع في بناء النسق، وبالمثل فانه يهتم بالنتائج التي تنطوي على مفارقة والتي يتم التوصل إليها أحيانا عند بناء نسق رمزي (غادامير، فلسفة التأويل، 2006). والفهم العلمي للحقيقة عند الوضعيين، لا يعدو انه المعرفة اليقينية التي قادت راسل إلى التحليل الفلسفي، بعد أن أيقن معنى الأسس اليقينية (الزين، 2006).

أراد راسل من الأسس اليقينية الفهم العالي للرياضيات، ولعل مصدر الإبداع في الرياضيات الحديثة هو نبذها للبديهيات، ولكم ابتهج حين وجد رجالا نهضوا فتحدوا هذه البديهيات، والحوا بإصرار على إقامة الدليل عليها، فقد اغتبط حين سمع من قال بأن الخطين المتوازيين قد يلتقيان في مكان ما، وان الكل قد لا يكون اكبر من احد

أجزائه، واستخدامه للمنهج العلمي جعل القارئ بألغاز محيرة مربكة مثلا : الأعداد الزوجية نصف الأعداد كلها، ومع ذلك فهنالك من الأعداد الزوجية ما يساوي في عدده كل ما يوجد من أعداد، لان لكل عدد زوجيا كان أم فرديا، ضعفا زوجيا، ثم يقول نقلا عن ويل ديوارنت (Will Durant 1886-1981) هذا هو كل شيء بالنسبة إلى اللانهاية الرياضية، فهي كل يحتوي على أجزاء في كل جزء منها من الأجزاء ما في الكل، ويبدو انه أراد أيضا من الرياضيات من خلال ما تقدم، هو الموضوعية العلمية، كما وذهب إلى التسليم بأن فروض الفلسفة جميعها مسلم بها، والفلسفة هدفها يجب ان يكون بلوغ الرياضيات، وأراد للفروض الفلسفية أن تشير إلى الصلات وليس إلى الأشياء، لان الصلات كلية، وهذه الصلات تكون مستقلة عن الحقائق الخاصة والحوادث، حتى ولو تبدل كل جزئي في العالم، تبقى هذه الفروض الفلسفية العلمية صحيحة، مثال ذلك إذا فرضنا أن كل الألفات هي باءات ثم فرضنا أن "س" تساوي "أ" لكانت "س" تساوي "ب" فهذا حق مهما كانت"أ"، وسترد بالقياس المنطقي القديم حول فناء سقراط الى كلي ثابت مسلم به، وتكون حقيقة حتى في حالة وجود سقراط أو أي شخص أخر إطلاقا، لقد كان أفلاطون واسبينوزا على صواب، إذ يمكن وصف عالم الكليات بأنه عالم الوجود. إن عالم الوجود ثابت صحيح، جاف وسار بالنسبة إلى الرياضي والمنطقي ومنشئا النظم الميتافيزيقية، والى جميع من يحبون الكمال أكثر من الحياة. فلو استطعنا ان نحصر كل الفلسفة في مثل هذه الصورة الرياضية؛ وان نخرج منها كل ما فيها من الحقائق الجزئية وان نقرب الشبه بينها وبين الرياضيات لبلغنا ما نريد، هذا ما كان يطمح إليه 'راسل'، فيثاغورس العصر الحديث (كامل و اخرون، ب ت).

ان الفلاسفة الوضعيين المناطقة، على الرغم من اختلاف حقبهم الزمنية، إلا إنهم اتفقوا في خطوطهم العريضة على مشتركاتهم الثابتة، فالمنهج العلمي كان من ابرز دواعيهم الثابتة، فلو رجعنا الى كتاب كارناب المسمى الفلسفة والتركيب المنطقي لوجدنا انه يكرس الفصل الأول بأكمله من هذا الكتاب لمناقشة معيار التحقق (Verifiability) وهو يقرر في هذا الموضوع ان قضايا الرياضة والعلم الطبيعي – وحدها دون سواها – هي التي تنطوي على معنى، في حين ان كل ما عداها من قضايا خلو من كل معنى (الكبيسي، 2009).

المنهج العلمي عند كارناب يتموضع في تحليل معاني القضايا العلمية؛ كما ان علم الفلك هو علم الأجرام السماوية، وعلم الحيوان هو العلم الذي يبحث في الحيوان؛ فموضوع الفلسفة هو المعنى؛ ومهمتها هي إيضاح المعنى؛ وإيضاح المعنى خطوة ضرورية في كل بحث علمي، وبهذا نرى أن كارناب لم يخرج عن الإطار العلمي للفلسفة بعد إيمانه بالرياضيات، يرى ان خطوات البحث لا تخرج عن كونها بحثا علميا منهجيا. وبهذا يمكننا أن نعد كارناب وشيلك الذي سبقه، تماما في الطرف المقابل في الفهم العلمي للفلسفة، عند الفلاسفة الذين اعتبروا أن الفلسفة ترد إلى مجرد تحليل للألفاظ لا يعدوا الاصطلاح، وان تعريف الفلسفة أمر لا يستطيع أن يقر به احد من الفلاسفة على طول تاريخها، في حين ان تبني الوضعين المناطقة منهجا علميا قائم على إتباع الأسس العلمية، وخاصة الرياضيات، هو دليل على أن هناك ضفة مقابلة تعتبر أن الفلسفة ليست مجرد ألفاظ يتم تحليلها في دائرة الاصطلاح، وإنما هي مبادئ وقواعد ومناهج علمية، لم تتخلف عن الركب العلمي في مراحل تطوره المختلفة، وعندما حصلت النهضة العلمية في كافة المعارف والعلوم، وخاصة عندما أعلن فرانسيس بيكون موت المنطق الأرسطي، وولادة الاستقراء العلمي، فكان للوضعين بقيادة أوجست كونت موقفا من هذا التحول، عندما أعلن عن

تأسيس الفلسفة الوضعية، التي تم فيها إخضاع العلوم الإنسانية، للمنهج ذاته الذي خضعت له العلوم الطبيعية (لجنة من العلماء والاكاديميين، 1980).

الفلسفة الوضعية الجديدة أو المعاصرة بصورتها الأولى التي ابتدأت مع جماعة فيينا وسميت بالوضعية المنطقية أو التجريبية المنطقية قد تميزت بالتأكيد على الاتجاه العلمي، ووحدة العلم، ومتابعة الاتجاه التجريبي الوضعي، والتأكيد على التحليل المنطقي للغة، والمنهج المتبع هو تحليل لغة العلم ن وبذلك تكون وظيفة الفلسفة وعملها تحليل وتوضيح معنى التصورات والمفاهيم العلمية الأساسية والمناهج المنطقية، وليست بناء أنساق ونظم فلسفية متكاملة، فهي استمرار للحركة التجريبية في الفلسفة، مع نقدها للفلسفة التقليدية، ورفض الميتافيزيقا، واستخدام التحليل المنطقي (زكي نجيب، 1980). تستخدم التجريبية المنطقية إمكانية التحقق كمعيار للمعنى في المقام الأول لتحديد استخدام هادف للغة بمحتوى تجريبي ثري وبعيد من اي استخدام فارغ، وفي توصيفهم للبيانات العلمية، فقد تبنوا ترسيمًا منهجيًا للحدود العلمية كنقطة انطلاق لهم، حيث يمكن للبيانات العامة ان يتم تبريرها فقط من خلال الملاحظات أو التجارب المتكررة (Friedrich, 2002, p. 79).

هذا التحليل المنطقي عند جورج مور يرتبط اشد الارتباط بالتوضيح، فهو عنده منهج يتبع بغرض الكشف عن حقيقة كثير من المشكلات الفلسفية التي لو تم تحليلها، أي أوضحنا عناصرها، لتبين لنا زيفها، وطالما أن التحليل عند مور هو التوضيح، فأنه بالتالي لا يضيف إلى معرفتنا معرفة جديدة بقدر ما يوضح ما كنا نعرفه بالفعل أي ما نعرفه بواسطة الفهم المشترك، لكنه لا يكون كشفا عن حقائق لم نكن نعرفها من قبل، فالتحليل توضيح للمعرفة لإظهار العناصر التي تتكون منها عباراتنا وألفاظنا (سماري، 1999، صفحة 38).

رأى كارناب، بأننا لسنا معنيين بالإجابة عن الأسئلة الفلسفية، وبدلا من ذلك فنحن نرفض جميع الأسئلة الفلسفية، سواء كانت تتعلق بالميتافيزيقا او نظرية المعرفة أو الأخلاق، لان اهتمامنا هو التحليل المنطقي (رشوان و مدين محمد، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ب ت).

التحليل المنطقي هو ابرز أدوات المنهج العلمي في فلسفة الوضعيين المناطقة، فقد لاحظنا مدى ترابط العلاقة بين المنطق، والرياضيات . لان المنطق كما عبر عنه كارناب أساسا للرياضيات، وبالتالي فقد أسهم التحليل المنطقي في إزالة الغموض عن قضايا الوضعيين، واسهم في إنتاج فلسفة متطورة تدخل في جانب اللغة وتفاصيلها، والتي من الممكن أن تحاكي الواقع الخارجي، لكي تصدر الأحكام على الأشياء بالصدق أو الكذب. والتحليل المنطقي عند راسل هو عملية ذهنية نضطلع بها حين نحاول توضيح التصورات و العبارات، سواء في مضمار الفلسفة أم في مضمار الحس المشترك، من اجل العمل على إزالة ما فيها من مظاهر الغموض والالتباس، ربما كان في الإمكان الوصول إلى مثل هذه النتيجة، عن طريق ترجمة التصورات و العبارات إلى لغة مثالية تكفل لنا الغاية المنشودة، من وراء التحليل و لكن الخطوة الأولى في سبيل العمل على تحقيق هذا البرنامج على الوجه الأكمل، إنما يكون أولا بالعمل على تلافي أوجه النقص في لغتنا المنطقية و محاولة الوصول بها إلى درجة أعلى من الكمال (إبراهيم، 1977، صفحة 33).

إذن فالوضعية المنطقية هي محاولة شجاعة لصنع فلسفة قائمة على العلم، رغم ذلك تم انتقادها من كل حدبٍ وصوب، وقد كان الأمر أشبه بهجوم كاسح تحاول خلاله كل فلسفة أو توجه معرفي أن تثبت صحتها مقارنة بالأخرى (Aloysius Dinneen, 1956, pp. 58-60). ويشرح لنا زكي نجيب محمود التحليل والتركيب بقوله

ويكاد يستحيل علينا أن نجد في الحياة اليومية الجارية تلك العناصر البسيطة التي منها ركبت الأشياء والحوادث والمواقف، لكننا إذا أردنا أن نفهم شيء من هذه المركبات، فلا بد لنا من تحليله إلى عناصره البسيطة، تحليلا قد لا يكون بالتفكيك المادي لأجزائه، بل نكتفي فيه بالتحليل العقلي لمقوماته، وبغير هذا التحليل قد نظن بمشكلة واحدة ؟ ما هو في الحقيقة عدد من المشكلات اندمج بعضها في بعض (زكي نجيب، 1980، صفحة 34).

لذلك فأن الوضعية المنطقية، تحصر وظيفة الفلسفة في تحليل معاني التصورات والأحكام وخاصة العلمية منها، فليس عليها أن تحاول الإجابة على تساؤلات غير قابلة للحل، فقد وافقت الوضعية المنطقية على منطق ومناهج البحث الخاصة بالطرق الصحيحة في المعرفة والتقييم، وبعد الفهم الكامل لوظائف اللغة والأنماط المختلفة للمعنى من الانجازات الأساسية للوضعية المنطقية، فاللغة تخدم أغراضا كثيرة منها تمثيل الوقائع أو القوانين والاضطرابات التي في الطبيعة والمجتمع، ومنها أيضا عرض صور الخيال، والتعبير عن العواطف أو إثارتها، وأخيرا تحريك وتوجيه الأفعال أو تعديلها، ومن ثم فقد ميز الوضعيين في العبارات بين (رشوان و مدين محمد، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ب ت، صفحة 220):

اولا – المعنى المعرفي والواقعي أو ما يمكن أن نصفه بالمعنى الوضعي؛

وثانيا – المعنى الانفعالي أو التعبيري للعبارات.

وهذا يدعم رأي راسل الذي ينقله لنا حميد خلف السعيدي في أن كثيرا من استعمالات اللغة لا يمكن تفسيرها إلا بالاستعانة بالصور الذهنية وخصوصا فيما يتعلق بالأشياء التي ليست حاضرة أمام الحس (السعيدي، 2010، صفحة 108).

هذا يحيلنا إلى استعمال أعم وأدق للتحليل، على اعتباره مفتاح المنطق والمنطق مفتاح العلوم، وحينها يتبين لنا أن جميع مشاكل الفلسفة هي مشاكل منطق في نهاية الأمر، ذلك أنّ اي مشكلة فلسفية بعد التمحيص الدقيق أما يظهر أنها ليست أما يظهر إنها ليست مشكلة فلسفية على الإطلاق، أو أنها مشكلة منطقية، إلا أن الفلاسفة لم يتفقوا على استعمال واحد للفظ 'المنطق'، ونحن الآن في موضع البحث عن المنطق الرياضي، وهو اتجاه المنطق الحديث، كذلك فهو لا ينتسب إلى المنطق الفلسفي إلا في أولياته، أما في مراحله المتقدمة فهو ادخل في باب الرياضة، من هذا فقد اخذ الوضعيين المناطقة على عاتقهم مسؤولية الربط والتوافق بين المنطق الفلسفي والمنطق الرياضي، باعتمادهم الرياضيات وتغليبهم شأنه، مع الإقرار بعدم جدوى الرياضيات دون الرجوع إلى أسسه المنطقية الفلسفية، وهذه القضية استدعت منهجا صارما محكما، فكان المنهج العلمي والذي لم يبتعد أيضا عن التحليل المنطقي الذي تبنته مدرسة الوضعية المنطقية.

هذا يشير إلى أن الفلسفة الوضعية كانت تبشر بفلسفة علمية تهدف إلى توحيد العلوم وتصطنع منهج التحليل المنطقي، وإذا تناولنا احد فلاسفة هذه المدرسة وهو كارناب، للإشارة إلى منهج المدرسة في التحليل المنطقي، ومن خلال مؤلفاته، فنجد ان جميع هذه المؤلفات هي إشارة لمنهجهم وفلسفتهم، فنأخذ مثلا البناء المنطقي للعالم The logical Construction of the World 1928، والتركيب المنطقي للغة Logical Syn tax – ofLanguage 1934، والفلسفة والتركيب المنطقي philosophy and Logical syntax 1935، والتحليل الى السيمانطيقاIntroduction to Semantics 1942، والمعنى والضرورة Meaning and Necessity 1947، والأسس المنطقية للاحتمالLogical Foundation ofprobability 1950، والمتصل في المناهج

الاستقرائية The Continuumof I nductive Methods 1952. إنّ هذه المؤلفات السالفة الذكر لواحد من رموز الوضعية المنطقية، وهي دلالة المنهج المتبع والذي لا يبتعد عن القضايا التجريبية التي يمكن التحقق من صدقها، بخضوعها لمبدأ التحقق وبالإمكان اختيارها والتثبت منها وهي قضايا علمية، ويسميها كارناب لغة الواقع والعلم، ثم يسميها فيما بعد لغة فيزيائية، لأنه يختار ان تكون لغة كل العلوم هي لغة الفيزياء (الحفني، 1992).

لكن الوضعيين، يفترضون ان صدق واقعية الأفكار والمفاهيم يعتمدان على قواعد المنطق، التي تعتبر أساس لكل قضية، وهي المعيار الأهم لكل الموضوعات والقضايا (النوري و الحسني، ب ت، صفحة 63).

أما التحليل عند آير فهو توضيح لما كنا نعرفه من قبل بطريقة غامضة أو غير واضحة، وهكذا يمكننا أن نتبين العلاقة بين التحليل والتوضيح، ويبدو ذلك من المعنى المألوف أيضا لكلمة تحليل من حيث هو فك وتفتيت للموضوع الذي نتناوله بالبحث، ولقد قصرت الفلسفة التحليلية المعاصرة مهمتها على مجرد التوضيح فقط، فهي توضح ما توضحه وتجلي ما تجليه ببيان الهيكل المنطقي الذي يحمل مادة القضايا المنطقية لإظهار ما بين الأجزاء من علاقات – حتى يبرز الكامن ويتعرى الخبيء – فما أكثر ما تكون فكرة متضمنة لفكرة أخرى وقضية مستلزمة لقضية ثانية، ولا يبدو ذلك إلا بالتحليل المنطقي الذي يحدد ألفاظنا الفلسفية تحديدا لا يدع أمامنا كلمة بغير مسمى، مما يمكن تعقبه بالحواس، بحيث يكون الشرط الأساسي لصحة اللغة هو إمكان تحقيقها، أي إمكان الرجوع بها الى ما جاءت لتصوره من وقائع العالم الخارجي وليس المراد بالتحليل تعريفا للألفاظ، فالتعرف يكون للحدود كل على حدة، أما التحليل فيكون لعبارة كاملة، وفضل التحليل على التعريف هو انه حينما يتعذر التعريف مباشرة، نلجأ إلى تحليل العبارة التي يرد فيها ذلك الحد المراد تعريفه، فإذا ما استبدلت بالعبارة كلها عبارة أخرى تساويها في المعنى، مع استغنائها عن الحد المراد تعريفه، كانت بمثابة من قدم تعريفا لذلك الحد بطريق غير مباشر (سماري، 1999، صفحة 22).

قال راسل أن الموقف الوضعي واجه صعوبة بالغة، هي رفض كل تأمل فلسفي بوصفه لغوا، ومصدر الصعوبة هو ان نظرية قابلية التحقق هي ذاتها نظرية فلسفية وقد حاول شليك كان يتجنب هذه العقبة بالقول أن مبدأ قابلية التحقق هو في الحقيقة متأصل في سلوكنا، وكل ما نفعله حين نعرضه بهذه العبارات هو أن نذكّر أنفسنا بالطريقة التي نسير عليها بالفعل، ولكن حتى لو كان الأمر كذلك، لكن المبدأ صحيحا في نهاية الأمر، ومن ثم فهو يحدد موقفا فلسفيا، ذلك لان من المتفق عليه بين جميع الأطراف انه ليس من قضايا العلم التجريبي (بتراند، 2011، صفحة 307).

إنّ الإقرار بالمنهج العلمي ومنهج التحليل والبناء المنطقي، إنما هو إقرار بعدم جدوى الميتافيزيقا، فهذا فتغنشتاين في كتاب (الرسالة) يقرر استبعاد ميتافيزيقاه لنظريته في اللغة إذ هي بمعياره كلام فارغ خالي من المعنى ،ذلك لأننا حين نقول على سبيل المثال ان اللغة تصور الوقائع فأننا عندئذ إنما نحاول أن نعطي صورة للعلاقة التصويرية التي تقوم بين العبارة والواقعة وهذا خلف، لان تلك العلاقة التصويرية إنما تكشف عن نفسها، وما يكشف عن نفسه لا يجوز الكلام عنه (كامل و اخرون، ب ت، صفحة 292).

4- الخلاصة

عبر سير الدراسة في موضوع البحث مسألة المنهج في فلسفة الوضعيين المناطقة تم التوصل إلى مجموعة من النقاط عدت أساسا في هذا البحث وهي :

- تقدم البحث العلمي قائم على المنهج المتبع فيه، فالبحث المعتمد على المنهج، إنما يوفر أرقى أنواع الوسائل المتاحة للباحث لمعرفة ذلك الخزين المعرفي من المعارف والعلوم، وهذا ما وجدناه عند الوضعيين المناطقة؛

- البحث العلمي يستهدف دراسة مشكلة علمية من اجل التوصل إلى مبادئ عامة، ويستدل البحث ببيانات علمية، ويهدف إلى إضافة جديدة إلى المعرفة القائمة حول الموضوع، وقد كرس الوضعيون المناطقة مسألة البحث العلمي برؤى منهجية كانت متناسقة بين مشكلة البحث ومنهجها العلمي؛

- لا يمكن أن نذهب بعيدا في العلاقة بين الوضعية المنطقية وأسسها العلمية، فالتفرقة بين المعنى الذي يحمله لفظا علم وفلسفة حديثة العهد، إذ لم تكن هناك فوارق بين العلوم التي تقوم على المشاهدة والتجربة والعلوم التي تستند إلى النظر العقلي والتفكير المجرد الخالي من معوقات التفكير المنطقي في ميدان البحث؛

- كان سعى المناطقة هو عدم فك الارتباط بين حقيقة الفكر المنطقي والتجربة ومعقولاتها، وقد اخذ هذا الموضوع جانبا تحليليا في مرتكزات الفكر الموضوعي وتطوراته، والتأكيد على الجانب المنطقي في مراحل الفلسفة الموضوعية إنما يشير إلى ترابط مراحلها منذ لحظة التأسيس؛

- الوضعية تتميز بضرورة البحث عن الأسباب الخفية وراء الظواهر، والبحث في القوانين الملازمة للظواهر، وان القانون هو العلاقة الثابتة والضرورية بين الظواهر المتشابهة والحوادث المتتابعة، والتي كان المنهج العلمي أول مظاهر ترابطها.

- ليس على الوضعية المنطقية محاولة الإجابة على تساؤلات غير قابلة للحل، فقد وافقت الوضعية المنطقية على منطق ومناهج البحث الخاصة بالطرق الصحيحة في المعرفة والتقييم المناسب للظاهرة.

الاحالات والمراجع:

لجنة من العلماء والاكاديميين السوفاتيين. (1980). الموسوعة الفلسفية (ط2). بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

السيد نفادي. (1996). اتجاهات جديدة في فلسفة العلم. مجلة عالم الفكر ، 25، الصفحات 91-23.

اميل برهييه. (1987). تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة جورج طرابيشي. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

اميل بوترو. (1973). العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة احمد فؤاد الاهواني. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

توفيق الطويل. (ب ت). أسس الفلسفة. القاهرة: كلية الاداب جامعة .

جواد كاظم سماري. (1999). البنية المنطقية ونظرية التحليل في فلسفة رودلف كارناب. أطروحة دكتوراه. العراق: كلية الآداب، جامعة الكوفة.

حسين عقيل عقيل. (1999). فلسفة مناهج البحث العلمي. مكتبة مدبولي.

حسين محمد جواد الجبوري. (2013). منهجية البحث العلمي، مدخل لبناء المهارات البحثية (ط1). عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

حميد خلف السعيدي. (2010). اشراقات فلسفية. بغداد: مكتب الأجراس للطباعة.

راسل برتراند. (2011). تاريخ الفلسفة الغربية. (محمد فتحي الشنيطي، المترجمون) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

زكريا إبراهيم. (1977). دراسات في الفلسفة المعاصرة. القاهرة : مكتبة مصر.

صادق جلال لعظم. (1979). دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة (ط3). بيروت: دار العودة.

صالح الشماع. (1977). مشكلات الفلسفة من حيث نظرية المعرفة والمنطق (ط2). بغداد : مطبعة جامعة بغداد.

عبد المنعم الحفني. (1992). الموسوعة الفلسفية. تونس : دار المعارف للطباعة والنشر.

علي عسكر، و آخرون. (1998). مقدمة في البحث العلمي (ط2). الكويت : مكتبة الفلاح.

فؤاد كامل، و اخرون. (ب ت). الموسوعة الفلسفية المختصرة. بيروت: دار القلم.

قيس النوري، و عبد المنعم الحسني. (ب ت). النظريات الاجتماعية. بغداد: جامعة بغداد.

فلسفة التأويل (المجلد ط2). (2006). (محمد شوقي الزين، المترجمون) الجزائر: منشورات الاختلاف.

محمد محمود الكبيسي. (2009). فلسفة العلم ومنطق البحث العلمي. بغداد : بيت الحكمة.

محمد مهران رشوان، و محمد محمد مدين. (2012). الفلسفة الحديثة والمعاصرة (ط1). عمان: دار المسيرة للطبع والنشر والتوزيع.

محمد مهران رشوان، و محمد مدين محمد. (ب ت). الفلسفة الحديثة والمعاصرة. عمان: دار المسيرة.

محمود زكي نجيب. (1980). المنطق الوضعي في فلسفة العلوم (ط5). القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية.

هانز جورج غادامير. (2002). الحقيقة والمنهج. (علي حاكم صالح، و حسن ناظم، المترجمون) بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

هانز جورج غادامير. (2006). فلسفة التأويل. (محمد شوقي الزين، المترجمون) الجزائر : منشورات الاختلاف.

هاني يحيى نصري. (2004). منهج البحث العلمي (ط1). بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

واجويرت ر. (1963) فلسفة القرن العشرين. (ع نوية). مؤسسة سجل العربص.

وايت مورتون. (1957). عصر التحليل: فلاسفة القرن العشرين. (أديب يوسف شيش، المترجمون) دمشق: منشورات دار الثقافة والارشاد القومي.

ول ديوارنت. (ب ت). قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي. (فتح الله محمد المشعشع، المترجمون) ب د.

يحيى هويدي. (1972). الفلسفة الوضعية المنطقية في الميزان. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

يحيى هويدي. (1989). مقدمة في الفلسفة العامة. القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع.

يوسف عبد الأمير طباجة. (2007). منهجية البحث، تقنيات ومناهج (المجلد ط1). بيروت: دار الهادي.

Aloysius Dinneen, J. (1956). Logical Positivism and the Principle of Verification. Loyola eCommons .

Friedrich, S. (2002). The Vienna Circle and Logical Empiricism. Austria: Institut 'Wiener Kreis'.

Leroux, J. (2010). Une histoire comparée de la philosophie des sciences. Canada: les Presses de l'Université laval.